تأويل القرآن الكريم في الدراسات الصوفية من خلال أبو حامد الغزالي

Interpretation of the Holy Qur'an in Sufi Studies Through Abu Hamid Al-Ghazali

قديدر مليكة [*1]، عقون مليكة [2]،

[1] جامعة معسكر (الجزائر)،malika.gedider@univ-mascara.dz

[2] جامعة معسكر (الجزائر)، malika.agoune @univ-mascara.dz ،

تاريخ الاستلام: 2021/12/20 تاريخ القبول: 2022/03/15 تاريخ النشر: 2022/06/06

ملخص:

نناقش في هذه الدراسة موضوع تأويل القرآن الكريم من المنظور الصوفي عند الغزالي،وعليه يقول إن الوصول إلى المعنى الحقيقي من النصوص القرآنية لا يتم بمجرد بيان اللفظ الظاهر عن طريق المنقول من التفسير فقط،بل وبادراك المعنى الباطن من خلال رموزه وإشارته عن طريق التأويل،ومن أجل ذلك فان الأولياء والعارفون بالله هم فقط من بإمكانهم الوصول إلى المعنى الحقيقي عن طريق الكشف والإلهام الباطني.

وعليه نسعى من خلال دراستنا هذه الوقوف على الأهداف الآتية: أولا التعريف بالتأويل كمصطلح وإشكال في الدراسات الإسلامية،وبيان منشأه وجذوره من التفسير الإسلامي،ورصد أهم تطوراته وارتحالاته المنهجية والمعرفية،والكشف عن تمثلاته وخصائصه في الفكر الصوفي من منظور أبو حامد الغزالي.

كلمات مفتاحية: كشف،إشارات،تفسير،ظاهر وباطن،تأويل باطن،أبو حامد الغزالي.

Abstract:

In this article, we will deal with the issue of interpretation of the Holy Qur'an from the perspective of Al-Ghazali, as a Sufi, in particular his stand that access to the true meaning of the Qur'anic texts is not achieved by simply clarifying the apparent expression through the transmitted from the explanation, Rather, by realizing the deep meaning through its symbols and its indication via interpretation; for this reason, only the saints and those who know Allah Almighty can reach the true meaning through revelation and inner

[*] المؤلف المرسل:قديدر مليكة.

inspiration. Accordingly, our main aim through this study is to stand at the concept of interpretation in Islamic studies, in order to explain its origin and roots from Islamic explanation and interpretation, to monitor its most important transformations, and methodological and cognitive developments, and to reveal its characteristics and mystic representation from the perspective of Al-Ghazali.

Keywords: Reveal,signs,interpretation,apparen and hidden, esoteric interpretation, Abu Hamid Al-Ghazal.

1. مقدمة:

برز التأويل كمصطلح وإشكالية لغوية ودينية في حقل الدراسات الإسلامية بعد سلسلة من التحولات المنهجية والمعرفية عرفها مفهوم التفسير الإسلامي،بدأت بمحاولة المفسر الوصول إلى المعنى الديني عن طريق بيان اللفظ الظاهر وبالاستناد إلى المنقول من المصادر الرئيسية في الإسلام وهي:القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين،ثم انتقل المفهوم بعد تطور الحياة الإسلامية وظهور القضايا الجديدة التي لم يرد لها دليل في المأثور إلى الاعتماد على الرأي أو الاجتهاد كما ساهم تفاعل المسلمين مع عدة عوامل داخلية وخارجية أخرى،كظهور قضية بطون القرآن في الإسلام،وانفتاحهم على أنماط جديدة من التأويل كالهيرمينوطيقا عند اليونان،والتأويل الرمزي لنصوص المقدسة اليهودية والمسيحية،في انتقال مجال المفهوم في تطبيقاته من البحث عن المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن،فنشأت القراءات التأويلية للنص القرآني كالتأويل الاعتزالي والفلسفي والصوفي.

ومما يميز التأويل الصوفي عن غيره من التأويلات أنه يعتمد على تخريج المعنى من النص العقدي بالرجوع إلى مجموعة الإشارات والرموز الخفية التي يحتويها النص،وعبر هذا السياق اتجهت كتابات بعض متصوفة الإسلام كالقشيري(376-465هـ)في لطائف الإشارات،والرازي(544-604هـ)،في مفاتيح الغيب،غير أن للغزالي(450-505هـ) تصور أخر للمسألة يعرضه في مؤلفاته وهي:جواهر القرآن،قانون التأويل والمستصفى مفاده أن النص

القرآني يحمل على قراءتين:الأولى تفسيرية تعنى ببيان اللفظ الظاهر وأخرى تأويلية تعنى بادرك المعنى الباطن،ومن شروطها تزكية النفس وصلاحها حتى تنكشف لها معاني القرآن الكريم،فإذا افترضنا أن القرآن الكريم كلام إلهي ذو مستويين ظاهر وهو اللغة وباطن رموز و إشارات،والتصوف تجربة روحية وباطنية،والتأويل استكشاف للمعنى الباطن.فكيف يمكن حينئذ للمؤول أن يصل بطريق الكشف إلى المعنى الديني من منظور الغزالي؟وتفرعت عن هذه الإشكالية الأسئلة الجزئية الآتية:

-كيف انعكست تجربة الغزالي الصوفية على تأويله للقرآن الكريم؟

- ما موقفه من إشكالية النقل والعقل؟

- وما القانون الذي يعتمده الغزالي في التأويل؟

ومن أجل البرهنة على الفرضية اعتمدنا على الخطة الآتية:أولاً: قسمنا محاور الدراسة إلى ثلاثة محاور:خصصنا المحور الأول:لدراسة النص القرآني من التفسير إلى التأويل،وقمنا بالبحث في معنى التفسير ومنشأه وارتحالاته لأن للغزالي موقفا منه،والعنصر الثاني:تناولنا فيه معنى التأويل ودلالاته في الفكر الإسلامي،أما المحور الثاني:فخصصناه لدراسة التأويلية عند الغزالي.وإننا نسعى في دراستنا هذه لبيان أثر التصوف في تأويل القرآن الكريم من منظور الغزالي،واخترنا لدراستنا منهج تاريخي تحليلي

2. نشوء مصطلح التأويل ودلالاته في الإسلام:

1.2 التفسير الإسلامي:منشأه وتطوراته:

إن التفكير في تاريخ ونشأة التأويل في الإسلام يحيلنا ومن الوهلة الأولى إلى خلاف مفكري الغرب المستشرقين والعرب حول عوامل نشأة الفلسفة الإسلامية،حيث قد أنكر المستشرق الفرنسي أرنست رينان على العرب قدرتهم على إنتاج فكر وفلسفة أصيلة ثم قام بإرجاع كل إنتاج عقلي عند المسلمين إلى عوامل خارجية مرجعها إلى تأثرهم بالفلسفة اليونانية ومؤثرات أجنبية أخرى،وهذا الموقف قد لقي معارضة شديدة من قبل بعض مفكري الإسلام،ومنهم مصطفى عبد الرزاق في كتابه تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية والذي حاول فيه الرد على أرائهم بتحليل ومناقشة أراء المفكرين العرب الفلسفية والدينية وبيان أصالة تفكيرهم من خلال الإحالة على الرأي وأطواره في الإسلام كإرهاص لنشأة العقلانية في الإسلام ،ويؤيده

على ذلك علي سامي النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،من خلال محاولته الرد على هذه الادعاءات وعرضه لعوامل نشأة العلوم الإسلامية والتي يردها وبالدرجة الأولى إلى مصادر داخلية وهي القرآن الكريم والسنة،ويرى أن السبب الرئيسي في نشأة هذه العلوم يعود إلى اختلاف الناظرين في القرآن الكريم في قوله:«فمن النظر في قوانين القرآن العملية نشأ الفقه.ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقا نشأ الكلام.ومن النظر فيه ككتاب أخروي نشأ الزهد والتصوف والأخلاق.ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة ومن النظر فيه كلغة إلهية نشأت علوم اللغة»(النشار،227،2011)،ومن خلال هذا النص يحيلنا علي سامي النشار إلى بداية وجذور العقلانية من التفسير الإسلامي وهي إشارة تشرح أول تعامل للمسلمين مع النص القرآني،كما يشير في نصا أخر إلى أن سبب نشأة التفسير اختلاف المسلمين حول لغة القرآن الكريم في قوله:«حدث بلا شك اختلاف في التفسير كان مرده إلى اختلافات لغوية تفسيرية حول تصورات قرآنية وحديثيه.اختلفوا في المفهوم اللغوي للآيات المحكمات وللآيات المتشابهات» (النشار،224،2011).

كما أشار كذلك الدكتور عبد الجليل بن عبد الكريم سالم في دراسته التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيق إلى أن تاريخ التأويل في الإسلام أو الفكر الإسلامي ليس إلا تاريخ الفلسفة الإسلامية بفروعها الثلاثة علم الكلام،والفلسفة الإسلامية المشائية والتصوف،(عبد الجليل،2004،55)ومن خلال هذه الآراء المعروضة يمكننا القول أن التأويل كإشكالية في الإسلام نتج عن حوار مع النص القرآني فتخرجت عنه مذاهب واتجاهات ثلاث وهي علم الكلام وهو أول مظهر من مظاهر النزعة العقلية في الإسلام،والفلسفة الإسلامية،والتصوف وهذه الاتجاهات الثلاثة فهمت كل منها القرآن الكريم فهما خاص بها،وفي المقابل كان هناك اتجاه أخر رفض التأويل وهم أصحاب الأثر أو ما يعرف بالتفسير.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن السلف استخدموا لفظ التفسير،ولم يستخدموا لفظ التأويل إلا قليلا فيما ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن العباس:«اللهم فقه في الدين وعلمه تأويله»،لأنهم لم يحتاجوا إلى التأويل بمعناها:«صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني»(الزركشي،416،2006)،أولا لأنهم كانوا أمام تحدي عظيم وهو الإعجاز اللغوي،ولا سبيل إلى استيعابه وفهمه دون بحث منتظم يقوم أولا على إزالة اللبس عن اللفظ وبيان

معناه ودلالاته،ومن جهة أخرى لم يؤذن لهم ببيانه،وقد كان أمر بيانه في بداية الأمر موّكل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[إبراهيم،14]،وحتى أمر بيانه وتفسيره لم يكن عليه الصلاة والسلام ليتعجل فيه قبل أن يأتيه ذلك وحياً في قوله تعالى:﴿**لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾[القيامة،19]،ولكن هذا لا يعنى أنهم لم يمارسوا التفسير لاحقا،فقد ذكر البخاري حديثا عن أبي هريرة رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:«ما أذن الله لشيء ما أذن للنبيَّ أن يتغنَّ بالقرآن»قال سفيان:تفسيرهُ:يستَغنى به»(البخاري،1283،2002)،وهذا يدل على اهتمام السلف الكبير بتفسير القرآن الكريم الذي لم يكن مجرد ضرورة فرضته مقولة الإعجاز وإنما كان تفسيره من باب التمتع بجماليات النص في تجلياته المختلفة اللغوية الأسلوبية والبلاغية وفي تنزيلاته المتعددة،فما علاقة التأويل كمصطلح وممارسة بالتفسير الإسلامي؟

2.2 في معنى التفسير:

من أجل الإحاطة التامة بمقاصد الدين الجديد والعمل به على أحسن الأحوال كان لابد للمسلمين من تدبر القرآن الكريم والبحث في معانيه استجابة لقوله تعالى:﴿***كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ***﴾[ص،29]،فكان هذا المطلب بمثابة الدافع الرئيسي للبحث في لغة القرآن الكريم من حيث مفرداته ومعانية،وكما سبق الذكر فان التفسير كان أول شكل من أشكال التعامل مع النص القرآني وهو المقصود ب:«الفَسْرُ:أي الإبانةُ،وكشف المغطَّى وكشف المرادِ عنَ المُشْكِل»(الفيروزأبادي،456،2005)،ويحيل بعض العلماء اشتقاق الكلمة إلى:«التفسيرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض،كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها»(البغوي،1989،46)،ويعرفه الجرجاني بقوله:«بيان ما فيه خفاء من المشترك،أو المشكل،أو المجمل،أو الخَفِيَّ» (الجرجاني،43)ومما سبق ذكره فان التفسير هو محاولة لتوضيح وبيان معنى أية بالرجوع إلى مصدر مبين لها، وقد تناول الإمام البغوي (433هـ-516هـ) الملقب بمحي السنة في تفسيره "معالم التنزيل" منهج السلف في بيان مفردات القرآن الكريم وذلك بالرجوع إلى مصدرين وهما:المنقول أو المأثور أي بالأخذ من (القرآن الكريم،السنة،وأقوال الصحابة والتابعين)،أو المعقول(اجتهاد النبي والصحابة والتابعين وهذا يعني أن السلف في تفسيرهم للنص القرآني استندوا إلى ما يوضح الألفاظ

الظاهرية عن طريق المصادر الرئيسية في الإسلام ولم تكن لديهم حاجة لمعرفة ما وراء اللفظ من معاني وهذا الشكل من أشكال التفسير له ثلاثة مراحل.

3. تفسير القرآن الكريم بين المنقول والمعقول

1.3 التفسير بالمنقول:أو المأثور:

ومعناه أن يتم بيان معاني مفردات القرآن الكريم بالاستناد إلى المصادر النقلية وهي على الترتيب الأتي كما ذكرها علماء التفسير:

1-تفسير القرآن بالقرآن :

ولا ريب في أن أول مصدر رجع إليه المسلمين في بيان معاني القرآن الكريم وفهمه هو القرآن ذاته لأنه تضمن تفسير آياته بعضها ببعض،حيث وردت فيه القضية الواحدة بأحكام متعددة،فقد يكون الحكم فيها مطلق وفي نص أخر مقيد،أو مجمل ومفصل وغيرها من الأحكام،وهنا يقوم المفسر بجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن نفس القضية ثم يقارن ويقابل بينها ويستعين بتفسير ما أجمل بحمله على ما فصل أو ما أطلق بما قيد،وهكذا في جميع الأحوال(الذهبي،31،1986)،فهنا في الأية01 من سورة *المائدة*:﴿**أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾[المائدة،01]،هنا جاء الحكم مجمل،فحمل على ما ورد مفصل في *قوله تعالى:*﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾[المائدة،10]،ففصله(الزركشي،2006،09)،وبهذه الطريقة يتم بيان ما أشكل وغمض من ألفاظ القرآن،والسلف كانوا إذا ما تعذر عليهم الحصول على تفسير لأية من القرآن الكريم لجؤا إلى السنة .

2-تفسير القرآن بالسنة:

وأما بيان السنة للقرآن الكريم فيمكن استنتاج كيفيته من خلال القرآن الكريم حيث ورد في قوله تعالى:﴿**لتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾[القيامة،16-19]،إشارة إلى أن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن كان يأتيه وحيا من الله عز وجل،وفي حالة أخرى يكون اجتهادا منه وذلك

استجابة لقوله تعالى:﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[النحل:64]،وبذلك كان أول مفسر للقرآن الكريم،فإذا عدنا لقوله تعالى:﴿**وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[البقرة،43]،هنا جاءت الآية مجملة فلحق بيانها وتفسيرها عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال توضيحه لكيفية الصلاة ومقدار ونصاب الزكاة (الجرجاني،43)وغيرها من التفسيرات التي تشرح كتاب الله عز وجل وسمي تفسيره عليه الصلاة والسلام بالسنة وهي أفضل شارح للقرآن،ومنه أخذ الصحابة والتابعين منهجهم في التفسير.

3-تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

أجمع علماء التفسير أن أقوال الصحابة والتابعين من المصادر النقلية الهامة التي يجب الأخذ بها في شرح وبيان النصوص القرآنية،لأنهم شهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم نزول القرآن الكريم وكانوا على إطلاع واسع بوقائعه وحيثياته،من أسباب نزول الآيات وفيمن نزلت ولما أنزلت ومكانها وزمانها،ولكن الأخذ بها يكون بحذر لأن هناك من الأحاديث غير صحيحة وفيها كثير من الخطأ ويجب على المفسر أن يتحرى الأحاديث الصحيحة منها من حيث قوة مادتها وراويها لأن حتى الرواة عرف فيهم من هو أصدق قولا وأفضل عن غيره،(الذهبي،140،1989)،وقد كان الإمام البغوي(433هـ-516هـ)يعود في تفسيره إلى أراء وأقوال الصحابة والتابعين،ومن هذه الأقوال ما ذكره عن تفسير ابن العباس وهو من أشهر المفسرين لقوله تعالى:﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾[البقرة،274]أنها نزلت: في أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية»(البغوي،339،1989)،ومن الملاحظ هنا أن تفسير الصحابة والتابعين لمعاني القرآن الكريم كان يستند في بداية الأمر على معرفة أسباب نزول الآية ومكانها وزمانه ولكن هذه المعولات التي كان يعول عليها السلف في التفسير استنفذت بمجرد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهاء مرحلة الوحي فاحتاج المسلمين إلى مصدر أخر لمعرفة الأحكام عن القضايا الجديدة التي لم يرد لها بيان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم،فأباح فريق من المسلمين الاجتهاد العقلي فيما لم يرد فيه حكم شرعي في النص القرآني وسمي هؤلاء بأهل الرأي،في حين رفض فريق أخر الأخذ بالاجتهاد وتمسك بالأثر وهم جماعة الأثر.(أحمد

أمين،2003،145)،وهنا بدأ مستوى أخر من مستويات التفسير عرف باسم التفسير بالرأي. فما علاقة الرأي بالتأويل في الإسلام؟

2.3:التفسير بالرأي: أو بالمعقول

يبحث مصطفى عبد الرزاق في كتابه تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية في جذور الرأي وبدايته في الإسلام فيشير إلى الرأي بقوله:"هو الاعتماد على الفكر في استنباط الأحكام الشرعية وهو مرادنا بالقياس والاجتهاد،وهو أيضا مرادف لاستحسان والاستنباط"(مصطفى،1944،138)،والرأي هو مجال اشتغال العقل،ثم يشير إلى أن بداية الرأي في الإسلام عرفت من خلال اجتهادات الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه أول من اجتهد برأيه فيما وجد فيه دليل من النص القرآني وفيما لم يوجد فيه دليل،ثم تبعه الصحابة والتابعين في منهجه فكان بمثابة الإرهاص لنشأة النزعة العقلية والتأويل في الإسلام(مصطفى،139،1944)،ومن اجتهادات الصحابة ما ذكر عن أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما سئل عن«الكلالة»في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً**﴾[النساء،12]قال:أقول في«الكلالة»برأيي،فإن يكن صواباً فمن الله،وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان:«الكلالة»ما عدا الوالد والولد»(الدر يني،2013،16). فلا يسعنا هنا سوى الجزم بأن السلف قد تناولوا القرآن الكريم في إطار البحث عن دلالته اللغوية الظاهرة فكان هذا الإجراء تمهيدا وتحضيرا للعقل الإسلامي لانفتاح على النص القرآني وعلى مستويات وحدود أبعد وأعمق من مجرد النظر إلى المعنى من اللفظ الظاهر وهو المعنى الباطن ،ومن هنا بدأ التأسيس لتأويلية في الإسلام. فما التأويل؟وما هي دلالته في الإسلام؟وما حدود الممارسة التأويلية عند الغزالي؟

2.3 مفهوم التأويل ودلالاته في الإسلام

أ-معنى التأويل:

إن البحث عن معنى ودلالات مصطلح التأويل في الإسلام يمكن مناقشته من زوايا إشكالية لغوية ودينية وفكرية متعددة،فهو كمصطلح لغوي مشتق من عدة دلالات: كالترجيع،الرد،التدبير،التقدير والتفسير .

وهذا ما أكد عليه الفيروزآبادي في قوله:«آلَ إليه أولاً ومآلاً:رَجَعَ،وعنه ارتدّ،وأوّله:دَبَرهُ وقَدَّرَهُ وفَسَّرهُ،والتأويل عبارة الرُّويا»(الفيروزابادي،963،2005)،أما دلالته في اصطلاح اللغويين فهي كما ذكرها الجرجاني(740هـ-816هـ) في تعريفه:«في الأصل الترجيع،وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة»(الجرجاني،46).وعليه فالتأويل استخراج للمعنى بالرجوع إلى الدلالة الأولى للفظ بدليل أو قرينة قد تكون من الشرع أو العقل.

أما دلالته في القرآن الكريم والتي ذكرت في سبعة عشر أية وبمعاني دلالات متقاربة تشير إلى ما يؤول إليه الشيء،وبمعنى أخر هو نشاط يفيد ارتحال المعرفة من الظواهر الحسية إلى الأسرار الإلهية والخفية التي لا تدرك بغير الكشف الرباني،وهو ما أشارت إليه معاني كلمة التأويل في سورة يوسف والكهف وآيات أخرى(خطاب،1986،162)،أما التأويل كإشكالية لفهم النص القرآني في الإسلام كان له عدة أسباب،يمكن حصرها في اختلاف المسلمين حول حقيقة ما ورد في قوله تعالى:﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[آل عمران،07]،والتي فتحت نافذة التأويل على مصرعيه،وذكر ابن رشد (520هـ-595هـ)ثلاثة مواقف للعلماء حول مسألة تأويل النص القرآني وهي:موقف أهل الظاهر وهم المتمسكون بظاهر النص الممسكون عن التأويل ويقرون أن العقل لا دخل له في الإيمان بجملة العقائد المنصوص عليها في الكتاب لأن الشرع أو الوحي قد بينها،وموقف المتكلمين المعتزلة والأشاعرة المسلمون بقدرة العقل للوصول إلى المراد من النصوص،وموقف ثالث وهم الموفقون بين الشرع والعقل وهم الفلاسفة(ابن رشد،1964،11).حيث اهتدى ابن رشد في كتابه فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال إلى أنه لا وجود لتعارض بين الحقائق الدينية(النقل) والحقائق الفلسفية (العقل).

أما التأويل الصوفي فله دلالات تختلف عن التأويل الكلامي حيث ينطلق من التمييز بين الظاهر والباطن فيتوصل إلى تحديد معنى للتأويل وهو:«تفسير الإشارات الخفية الموجودة في آيات القرآن والتي تعتمد على العبور من ظواهر القرآن إلى الأخذ

بالباطن»(الزرقاني،06،1995).ومن أمثلته تأويل قوله تعالى:﴿*فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا*﴾[الإسراء،23]،هنا ظاهر الآية يفيد النهي عن التأفف ونهر الوالدين،وكذلك تتضمن معنى باطن وهي رموز وإشارات القصد منها تحريم كل ما يؤدي إلى ظلم الوالدين كالضرب،والقتل والسب والشتم.(الدريني،2013،16)،ويرى أصحاب هذا الاتجاه ومنهم الغزالي أن للنصوص القرآنية بواطن لا يمكن فهمها دون كشف والهام رباني فما حقيقة التأويل عند الغزالي؟وما هي حدوده؟

4.التصوف بوصفه منهج تأويلي في قراءة القرآن الكريم:

1.4التأويل عند الغزالي:الخصوصية والممارسة:

إن طبيعة التربية الدينية والصوفية التي تربى عليها أبو حامد الغزالي(445-505ه)في صغره لم تكن أن لا تترك أثراً بالغا في حياة الغزالي المفكر والباحث عن الحقيقة في علوم ومعارف عصره،ولعل ما يعكس ذلك هو حالة القلق والاضطراب التي لم تكن لتزول لو لا رجوعه للبحث عن الحقيقة في مستودع التصوف،وقد عبر بشوق عن حالة الارتياح النفسي الذي شعر به وهو بصدد انتقاله لفحص العلوم الصوفية،في المنقذ من الضلال في قوله:«ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية،وعلمت أن طريقتهم إنما تتمُّ بعلم وعمل،وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس،والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة،حتى لتوصل(بها)إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى،وتحليته بذكر الله»(الغزالي،122،1933)،وكأنه لما ترك البحث في التصوف كأخر مرحلة كان متعمدا ومتيقنا بأنه سيجد ضالته فيه،ولهذا لم يكتفي بمجرد الاطلاع على كتبهم كقوت القلوب لأبي طالب المكي،الحارث المحاسبي،والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي،وأبي يزيد البسطامي،بل خاض بنفسه غمار التجربة الذوقية حتى يستطلع أسرار الطريقة التي لم يكن ليعرف ثمارها بمجرد الإطلاع على ما صنفه هؤلاء،هذا الطريق الذي كشف له أن العبد متى توصل إلى القرب من الله والبعد عمن سواه تولاه الله بعنايته وتكفل بتنويره بأنوار العلم وأفاض عليه من العلم حتى ينكشف له سر الملكوت(الغزالي،2005،895).وهنا يمكننا القول أن الغزالي قد تسنى له من خلال رحلة بحثه العلمية أن يؤسس منهج للمعرفة يقوم على دعامتين

وهما:الاستدلال العقلي،والكشف الباطني،أو ما يسميه بالتجربة الروحية،(صليبا،1989،347)ومن هذا المنطلق فانه لا يستبعد قدرة الإنسان في الوصول عن طريق الكشف إلى معرفة الحقائق عن عالمي الغيب والشهادة.

يبدأ الغزالي جواهر القرآن باستهلال يعرف فيه القرآن الكريم بأنه البحر المحيط الجامع لحقائق عالم الغيب والشهادة،ثم يثنى على ذلك بقوله أن هذه الحقائق كلها مجموعة فيه في ستة مقاصد ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة،وثلاثة أخرى هي الروادف والتوابع المغنية المتمة(الغزالي،1329،09).وهذا التعريف يريد الغزالي من خلاله الكشف عن الرسالة التي جاء بها القرآن الكريم والتي لا يمكن استيعابها دون قراءة ومطالعة،ويوضح الغزالي هذه المقاصد من خلال تفسيره لسورة البقرة والتي شرحه عنه السيوطي في الإتقان في علوم القرآن،وعليه يرى الغزالي أن المقاصد الثلاثة الأولى تخص:بتعريف المدعو إليه وهو الله عز وجل،كما جاء في قوله:﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ثم تعريف الصراط المستقيم﴿***اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ***﴾وتعريف الحال عند الرُّجوع إليه تعالى وهو الآخرة،كما أشير إليه ب﴿**مالك يوم الدين**﴾،والأخرى:تعريف أحوال المطيعين،كما أشير إليه بقوله:﴿***الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ***﴾وحكاية أقوال الجاحدين،وقد أشير إليها ب﴿**الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾،وتعريف منازل الطريق،كما أشير إليها في قوله تعالى :﴿***إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ***﴾(الغزالي،1329،09)،وهذه المقاصد كلها مجموعة ضمن منظومة من علم القشر والصدف وعلم الجواهر والدرر،فماذا يقصد الغزالي بعلم الصدف والقشر وعلم الجواهر والدرر؟

يقسم الغزالي النص القرآني إلى مستويين وهما: مستوى الدلالة الظاهرية واللفظية وهي المراد بعلم القشر والصدف،ومستوى الدلالة الباطنية وهي مجموعة الإشارات والرموز وهو المراد بعلم الجواهر والدرر،وبين هذين المستويين علاقة تداخل حيث لا يمكن المرور إلى الباطن دون معرفة الظاهر وإزالته،ولهذا يعتبر الغزالي أن مهمة التفسير الإحاطة بعلم القشر والصدف وهو الغلاف المتجسد في اللغة وما تتشعب منها من علوم ويصنفها إلى خمسة علوم وهي:

-علم اللغة

-علم النحو

-علم الإعراب والقراءات

وعلم مخارج الحروف والصوت وهذه العلوم أول ما يظهر من المعاني(الغزالي،10،1329)،ويأتي في نص أخر فيقول أن النص القرآني ينتمي إلى عالمين وهما:عالم الشهادة ويقصد به الألفاظ القرآنية ويسميها بالكسوة أو الصدف،وعالم الغيب والملكوت ويقصد به المعاني ويسميه بالجواهر والدرر في قوله:«إن معاني القرآن من جملة الملكوت. وإنما حروفها من عالم الشهادة والأكنة»(الغزالي،62،2003)،وهذا التقسيم يحاول الغزالي من خلاله تمييز طبيعة المعاني الروحية عن طبيعة الألفاظ المادية.ويكشف من خلاله صلة الفهم بالتصوف وأصول التربية الروحية والتي يجعلها شرطا لحصول المراد وتحصيل المعاني التي هي من العالم الإلهي.

ولهذا يشترط على المؤول المريد لمعاني القرآن أن يتجرد من الموانع التي تعيق عملية الفهم ويسميها كذلك بالأكنة وهي حجاب الجمود والشك وحجاب الشهوات،حتى يصل إلى صفاء القلب فتنكشف له لطائف القرآن الكريم(الغزالي،62،2003)،وفي السياق ذاته يذكر القشيري في لطائف الإشارات على أن بلوغ الجواهر والدرر سر لا يكشفه الله سبحانه وتعالى لجميع الناس وإنما يختص به العارفون وأولياءه الصالحين على قدر صفاءهم(القشيري،05،2007).وهذا ما يبرر قول الغزالي بضرورة تأويل النص القرآني،وأنه وضع لكي يؤول لا على أن يؤخذ على ظاهره،لأن بيان المعنى الظاهر عن طريق التفسير وهو:«تبديل اللفظ بلغة أخرى يقوم مقامها في العربية أو معناها بالفارسية أو التركية»(الغزالي،47،1344)،يمكن للجميع معرفته عن طريق الإحاطة بالقواعد والعلوم اللغوية،بينما التأويل وهو:«بيان معناه بعد إزالة ظاهره»(الغزالي،13،1344)،يحصل للراسخين في العلم فقط وهم حسب اعتقاده العارفون وأولياء الله الصالحين.غير أنه لا يرفض التفسير بل يرى أنه قاصر على إدراك المعنى الحقيقي في كليته ولهذا وجب التأويل.

ويبرر الغزالي دعوى التأويل كذلك بوجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم،فيرى أن اختلاف العلماء في تحديده راجع إلى عدم تمكنهم من إدراك معناه،ولهذا فهو يرفض قول

القائلين بأن«المتشابه»هي الحروف المقطعة في أوائل السور،والمحكم ما عداه.وكذلك يرفض قول القائلين بأن المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم والمتشابه ما يتفرد بعلمه الله تعالى،وبأن المحكم هو الوعد والوعيد،والحلال والحرام،والمتشابه القصص والأمثال،ويرى أن المتشابه ما تعارض فيه الاحتمال.وما يعبر به عن الأسماء المشتركة مثل ما جاء في قوله تعالى:﴿**الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾[**البقرة،237**]،لأن معناه تردد بين الزوج والولي،وكاللمس المردود بين المس والوطء،وكذلك المتشابه عنده الآيات التي ذكرت صفات الله،والتي تتضمن معنى الجهة والتشبيه،(الغزالي،30)وهذه الآيات حسب رأيه تحتاج إلى تأويل.

أما المحكم فيرجعه إلى معنيين وهما:

الأول:المكشوف المعنى، الذي لا يتطرق إليه، إشكال واحتمال

الثاني:والذي انتظم في لفظه ظاهرا وتأويل،ولا وجود فيه لاختلاف والتناقض(الغزالي،30).ومن خلال بحثه في معنى المتشابه يصل إلى أن المتشابه في القرآن الكريم من بواطن القرآن الكريم،والذي يمكن الكشف عنه بدليلين وهما:

-**الدليل العقلي:**وهو أن يكون حمله على الظاهر غير ممكن،ويستدل على ذلك بمثال في قوله صلى الله عليه وسلم:«قلب المؤمن بين أصبعين من أصبع الرحمن»إذا لو فتشنا في قلوب المؤمنين الحقيقية عن الأصابع لم نجد إذن هنا يؤخذ على معناه الروحي وهو كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع و روحها الخفيُّ.

-**الدليل الشرعي:**وهنا إذا كان حمله على الظاهر ممكنا،ولكن أُخبر أنه أريد به غير الظاهر،كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿***أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا***﴾[الرعد،17]،وأن معنى الماء هو القرآن ومعنى الأودية القلوب،وأن بعضها احتملت شيئا كثيراً،وبعضها قليلاً،وبعضها لم يحمل(الغزالي،2011،372).ففي هذه الحالة يمكن عن طريق هذين الدليلين التوصل إلى المعنى الباطن وتأويله.

وأما موقفه من إشكالية العلاقة بين العقل والنقل فيقول أن مجرد النظر فيها يحيلنا للوهلة الأولى إلى وجود تصادم بينهما،والعلماء فيها اختلفوا وتحزبوا إلى ثلاثة منهم مُفْرِط بتجريد النظر إلى المنقول وهم الحشوية،والى مُفَرط بتجريد النظر إلى المعقول،وهم المعتزلة

والفلاسفة والى متوسط جمع بين المعقول والمنقول،وفي هذا الصدد يقول:«فميل أولئك إلى التفريط،وميلُ هؤلاء إلى الإفراط وكلاهُما بعيدُ عن الحزم والاحتياط،بل الواجب المحتوم في قواعد الاعتقاد..ملازمة الاقتصاد»(الغزالي،65)،ولهذا يصنف المشتغلين بالتأويل إلى خمسة فرق وهي:

-**الفرقة الأولى:**وهم الذين جردوا النظر إلى المنقول والمتمسكون به أي أهل التفسير بالمأثور،ويقول أنهم وقفوا على أول الطريق.

-**الفرقة الثانية:**وهم الذين جردوا النظر إلى المعقول ولم يلتزموا بالنقل الإ في حدود ما يوافق عقولهم.

-**الفرقة الثالثة:**الذين سبقوا المعقول على المنقول وهم المنكرون من الظواهر ما يخالف المعقول.

-**الفرقة الر ابعة:**الذين سبقوا المنقول على المعقول وغاصوا في المنقول

-**الفرقة الخامسة:** وهي الفرقة التي توسطت وجمعت بين المنقول والمعقول والتي لم تنكر تعارض العقل والنقل بل جعلت من كلاهما أصلا وبنت عليه الحكم.(الغزالي،09،1940)، وهنا يصدر الغزالي موقفا وسطياً يدعوا إلى ضرورة الأخذ بمبدأ لا إفراط ولا تفريط،أي الجمع بين العقل والنقل،ويشدد على ذلك في قوله:«أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع.والشرع لم يتبين إلا بالعقل؛فالعقل كالأسّ والشرع كالبناء»(الغزالي،1966،57) ،ومن الملاحظ أن تحسس الغزالي لوجود هذا التفرق والتعدد في قراءة القرآن الكريم والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم،دفعه إلى تأليف كتابه قانون التأويل،والذي حاول فيه أن يضع قواعد التأويل الصحيح يستند عليه كل من أرد خوض غمار التأويل،ولأجل ذلك طرح علاقة التأويل والوجود.

-التأويل ومر اتب الوجود:

حتى يصل الغزالي إلى التمييز بين التأويل المقبول والمرفوض يربط النص القرآني والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم بمراتب الوجود الخمسة وهي:

1-الوجود الذاتي:وهو الوجود الثابت،الحقيقي،والموضوعي،الخارج عن الحس والعقل،لكن له صورة في العقل تسمى إدراكا،ويتجلى في سائر مخلوقات الله كوجود السموات والأرض،والكائنات الحية من الإنسان والحيوان.وهذا الوجود إن وجدت مظاهره في النص القرآني والأخبار فلا تأويل له،لأنه حقيقي في ذاته مثل الحديث عن العرش،والكرسي،تجرى على ظاهره ولا تؤول مثال في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[ال عمران،190] (الغزالي،1933،11)،وهنا وجود السموات والأرض والليل والنهار حقيقي ولا مجال فيه لتشكيك لهذا فالآية لا تأويل لها.

2-الوجود الحسيُّ: وهو الوجود الذي يقتصر على ما تراه العين الباصرة وهو مستقل يختص به الحاسُّ مثل الصورة الحسية التي يراه النائم والتي لا وجود لها خارج الحس،كما أنه لا يتشارك فيها الأفراد مع بعضهم البعض،وفيه عدة أمثلة نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم:«عرضت عليّ الجنة في عرض هذا الحائط»،فيرى انه من تبين له بالبرهان على أن الأجسام لا تتداخل،وأن الصغير لا يسع الكبير،حمل ذلك على مثال الجنة فلم تنتقل إلى حائط لكن تمثل للحس صورتها (الغزالي،12،1933).

3-الوجود الخيالي:وهو وجود المتخيل بعد غياب الصورة الحسية والعقلية فيمكن تخيله وبناء صورة له في الخيال،كتخيل صورة للفرس،والفيل وغيره.ومن أمثلته قول الرسول صلى الله عليه وسلم:«كأني أنظر إلى يونس بن متى،عليه عباءتان قطوانيتان،يلبي وتجيبه الجبال،والله تعالى يقول له:لبيك يا يونس»،وهنا سياق الخبر يتضمن الحديث عن صورة خيالية في ذهن الرسول عليه الصلاة والسلام.(الغزالي،12،1933).

4-الوجود العقلي:وهو الوجود الذي يأخذ من الصورة الحسية والخيالية لبناء صورة عقلية في ا الذهن،مثل اليد في مثال:«إن الله تعالى خمر طينة أدم بيده أربعين صباحا» هنا يقول لها صورة حسية وخيالية،ولها معنى وحقيقة أخر هي اليد العقلية أو الروحانية،فمن ثبت له هنا استحالة وجود اليد بمعناه الحسي،أثبت لله تعالى اليد الروحانية التي بها يبطش ويعطي ويمنع عن طريق الملائكة لقوله صلى الله عليه وسلم:«أوَّل ما خَلَقَ الله العقل فقَّال بك أعطي وبك أَمْنَعُ».(الغزالي،1933،13). **5-الوجود الشبهي**:وهو كمثال

الغضب،والشوق،والفرح،والصبر وغير ذلك مما ذكر في حق الله تعالى فالغضب في الحقيقة يعني غليان دم القلب لإرادة التشفيَّ،وهو نقصان وفي حق الله تعالى غير جائز فإذا ثبت بالبرهان استحالة ثبوته على الله تعالى ذاتياً وحسياً وعقلياً وخيالياً نزله على ثبوت صفة أخرى كإرادة العقاب (الغزالي،1933،15) وهنا ومن خلال هذا التقسيم يحدد قانون في التأويل ويعتبر أن كل من استند تأويله على المراتب الخمس للوجود،كان تأويله بعيدا عن الكذب

ثم يذكر مثالين يكون فيهما التأويل بعيدا عن الحقيقة وغير مقبول وهما في حالة:الوجود العقلي والشبهي لأن صيغة الكلام فيهما تكون مجازا أو استعارة،وهذا كما في تأويل الإمام أحمد بن حنبل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:«قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» فقال أنه لما تعذر عليه إثبات الأصابع لله الحسية ولم يشاهد فيه الأصبعين فتأوله على روح الأصبعين وهي الأصابع العقلية والروحانية»(الغزالي،17،1933).وفي حالة أخرى يذكر أن اللفظ إذا تردد معناه بين الحقيقة والمجاز،يؤخذ عل الحقيقة إن لم يرد دليل يجزم بأن المراد به المعنى المجازي،وكذلك أن لا يكون اللفظ مجملاً كقوله:«رأيت-اليوم-حماراً،واستقبلني في الطريق أسد» وهنا يشير إلى أن لفظ الحمار و لفظ الأسد لا يحمل على البليد والشجاع ما لم ترد قرينة واضحة تؤكد على ذلك،فان لم تظهر فاللفظ للبهيمة والسبع(الغزالي،1933،56)،ويلزم في هذه الحالة تدقيق الملاحظة عن طريق العقل حتى لا يصرف المعنى لغير ما أريد به فيصبح التأويل فاسدا.

وفي إلجام العوام عن علم الكلام ينهى الغزالي العوام والعلماء الذين ليس لهم علم ودراية كافية بأصول وقواعد الاستنباط عن الخوض في مسائل التأويل،وبعد أن يعترف بأن مذهب السلف هو المذهب الحق، وعليه يبين ما يترتب على المشتغلين من وظائف يلتزمون بها وهي كما أوردها:

1-**التقديس:** وهو بمعنى تنزيه صفات الرب تعالى عن الصفات البشرية وتوابعها.ومن أمثلة ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:«إن الله خمر طينة أدم بيده أربعين صباحا»وهنا يقول الغزالي يجب على المؤول أن لا يعتقد بأن اليد في الحديث تعنى المعنى الظاهر والأصلي للفظ

وهو اليد من حيث أنها مركبة من عناصر كاللحم،العظم،والعصب.بل من حيث معناه الباطن المتجسد في صفات الجلال و الجمال.(الغزالي،2017،39)،وهنا يحيل الغزالي إلى ضرورة الإمساك عن الخوض في مسائل الصفات الإلهية.

2- **الإيمان والتصديق**:بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ما ذكره حق.

3-**الاعتراف بالعجز**: وعدم القدرة عل معرفة مراده،وأنه ليس من اختصاصه وشأنه.

4-**السكوت**: بمعنى أن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه.

5-**الكفُّ**:بأن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكرُ فيه.

6-**الإمساكُ**:أن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى.سواء عن طريق التفسير،والتأويل،والتصريف، والتفريغ، والجمعُ، والتفريقُ.

7-**التسليم لأهل المعرفة**:وهو أن يعتقد أن المراد إذا خفي عليه لا يعنى أنه قد يخفى على الرسول وعلى الأنبياء والأولياء.(الغزالي،2017،40)،لأن عدم التسلم بإمكان معرفة المراد لأهله،فيه دعوة لتشكيك في حق الأنبياء والرسل والصالحين وكذلك إنكار للوحي والمعرفة اللدنية.

ومن النماذج التطبيقية عنده والتي تعكس بوضوح نزعته الصوفية،تأويله لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله:«لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »،فيقول أن للفظ البيت والكلب رموز وإشارات خفية،حيث يرمز إلى الملائكة بالمعرفة والأنوار الإلهية،و البيت إلى القلب وهو موطن ومسكن الروح الطيبة والملائكة الأطهار المنزهين عن السوء والفحش،والكلب يرمز إلى الخلق السيئ والى أمراض القلوب كالبغض والحقد والحسد وكل خلق ذميم، وعليه فان الملائكة وهم أنوار المعرفة الإلهية لا تدخل قلب نجس حتى يتطهر من الآثام والأحقاد التي تحول دون وصول أنوار المعرفة إلى القلب فيرشدنا الغزالي وكل طالب علم ومعرفة إلى ضرورة التجرد من الأخلاق السيئة والتحلي بالأخلاق الحسنة.(الغزالي،2011،182).وهذا الاتجاه في التأويل نجد له حضور في تصوره لمفهوم السعادة ففي كيمياء السعادة،يعتبر السعادة حالة يصلها الإنسان عندما يبلغ درجة راقية من الكمال النفسي والارتقاء الروحي لا يمكن بلوغها دون تزكية النفس وتهذيبها بالأخلاق الحميدة ،والتخلق بالأخلاق الإلهية.

وفي مثال أخر يؤول قوله تعالى:﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[فاطر،10]فيقول أن الكلم الطيب يعني التوحيد والمعرفة،ومعنى العمل الصالح هو طهارة القلب الرافعة لقدر التوحيد والمعرفة وأما الرفعة هو حضور القلب وتأثره بهما لينقاد خضوعاً ومسكنة ومهابة فحينئذ يكون قريباً من الله.(الغزالي،143)،وهنا يقصد الغزالي في المثال بالمعرفة اللدنية والتي لا يمكن أن تتحقق دون تطهير روحي وهو شرط الطريقة الصوفية.ويرفض التأويل في بعض المسائل المتعلقة بالحوض،والبرزخ،وغذاء الشيطان ويكتفي بإرجاع أمرها للنقل المحض.(الغزالي،21،194)،وكذلك يمكن القول أن هذه المسائل من الأخبار التي تنتمي إلى الوجود الحقيقي وما كان حقيقي لا تأويل له.

وهنا لا يفوتنا أن نشير إلى أن التأويل الصوفي يتميز عن غيره من التأويلات الأخرى كالتأويل الكلامي،والفلسفي،أن المتصوف يهدف من خلال بحثه في الجواهر والدرر النفاذ إلى البواطن من أجل استكشاف المتكلم الأول في خطاب الأزل في قوله:«إن لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن ومعرفة جماله والاستغراق به والقرآن سائق إليه وهاد نحوه ومن أشرف على المقصد لم يلتفت إلى الطريق»(الغزالي،58،1344)،والاتصال به والتلذذ بصفاته وأفعاله وهي السعادة والمبتغى الذي يغني عن الطريقة حسب اعتقاده.

وبعد أن لاحظ الغزالي كثرة التأويل وانتشاره في غير أهله صنف قانون التأويل وعرض فيه مجموعة من النصائح والوصايا للمشتغلين به ويحصرها في أربعة وصايا وهي:

-أن لا يطمع في الاطلاع على جميع التأويلات.

-أن يكف عن التأويل عند تعارض الاحتمالات

-أن لا يكذب برهان العقل أصلاً لأن العقل لا يكذب.

-أن تكون له قناعة بأن بلوغ معرفة جميع التأويلات لمراد الله ورسوله غير جائز ومن يدعى ذلك فقد تاه عقله،ويستدل على ذلك بقوله تعالى:﴿***وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً***﴾[الإسراء،85](الغزالي،30،1940)وبهذه النصائح يؤسس الغزالي قانونه في التأويل.

4. خاتمة:

وفي نهاية الدراسة نستخلص النتائج الآتية:

- ✓ إن دراسة القرآن الكريم عرفت مراحل وتطورات،بدأت بالقراءة الظاهرية على مستوى اللفظ الظاهر ومن خلال منهج التفسير بنوعيه المنقول والمعقول.
- ✓ التأويل كإشكالية دينية ولغوية نتج عن تطور الرأي في الإسلام وله تمثلاته كالتأويل الكلامي،الفلسفي،والصوفي
- ✓ دراسة القرآن الكريم عند الغزالي اعتمدت على شقين وهما:الهدم والبناء، حيث يرفض الاتجاه الذي يقتصر على التفسير الظاهري للفظ دون الأخذ بالباطن،،وكذلك الاتجاه المُفرط في استخدام النظر العقلي دون الأخذ بالتفسير،ويبني قانون لتأويل يقوم على أساس التوفيق بينهما أي بين المنقول والمعقول
- ✓ استدعاء الغزالي لتفسير إجراء الغرض منه رد الاعتبار لمنهج السلف،ومحاولة للرد على الاتجاهات المغالية في التأويل كغلاة المعتزلة والفلاسفة. أما تأويله فيظهر فيه تغليب لنزعة صوفية وتهميش لدور العقل،وهو ما أشار إليه ابن رشد في كتابه "مناهج الأدلة في عقائد الملة" مبالغة في تمجيد منهج التزكية الذي يعتبره الغزالي شرطا ضروريا لبلوغ المراد من النص وفيه إقصاء لدور النظر والعقل الذي اثبت عبر عديد المراحل قدرته على الفهم والقرآن الكريم كخاطب الهي جاء لمخاطبة العقل في قوله تعالى:"أفلا يعقلون"،وأفلا يتدبرون القرآن" وهذا دلالة على أنه نص موجه للعقل.
- ✓ وبعض النتائج الأخرى المتعلقة بمسألة القراءة في حد ذاتها والتي أردت اختصارها في موقف عرضه الدكتور بشير خليفي في دراسته الفلسفة وقضايا اللغة،والذي يقول فيه أن القراءة الظاهرية للنص ربما قد لا تعطينا المضمون الكامل للنص وتنتقص بعض من قيمته المعرفية وقد تجمد المعنى و تحيله على ترجمة خاطئة،ولكن في المقابل يجب كذلك أن لا يستباح النص باسم الانفتاح فيكون مجالا مفتوح لقول ما لم يقال بعيدا عن الضوابط والحدود المسموح به خصوصا إذا كان الأمر متعلق بالنص المقدس.

- ✓ ورغم ذلك فان التأويل من ناحية أخرى أفاد كثيرا في مجال تطوير المعارف الإنسانية.

5. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

المعاجم والقواميس:

-الفيروزآبادي،2005،القاموس المحيط،بيروت،مؤسسة الرسالة.

-الجرجاني،التعريفات،القاهرة،دار الفضيلة.

-أبو حامد،الغزالي ،1329،جواهر القرآن،مصر،مطبعة كرديستان.

-أبو حامد،الغزالي،1344،الأربعين في أصول الدين،مصر،المطبعة العربية.

-أبو حامد،الغزالي،1933،فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة

-أبو حامد، الغزالي،1933،المنقذ من الضلال،دمشق،مطبعة الترقي.

-أبو حامد،الغزالي ،1940،قانون التأويل،مطبعة الأنوار.

-أبو حامد،الغزالي،1966،معراج القدس في معرفة النفس،بيروت،دار الأفاق الجديدة.

-أبو حامد،الغزالي،2003،الأربعين في أصول الدين،دمشق،دار القلم.

-أبو حامد،الغزالي2005،الإحياء ومعه المغني،بيروت،دار ابن حزم.

-أبو حامد،الغزالي،2011،الإحياء،السعودية،دار المنهاج.

-أبو حامد،الغزالي،2017،إلجام العوام عن علم الكلام،بيروت،دار المنهاج.

-أبو حامد،الغزالي،د(س)،روضة الطالبين وعمدة السالكين،بيروت،دار النهضة الحديثة.

-أبو القاسم،القشيري،2007،لطائف الإشارات،بيروت،دار الكتب العلمية.

-أحمد،أمين،2003،ضحى الإسلام،مصر،الهيئة المصرية للكتاب.

-ابن رشد،1964،مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد،مصر،مكتبة الانجلو المصرية.

البغوي،1989،تفسير البغوي"معالم التنزيل"الرياض،دار طيبة.

-البخاري،2002،صحيح البخاري،بيروت،دار ابن كثير.

-جميل،صليبا، 1989،تاريخ الفلسفة العربية،بيروت،دار الكتاب العالمي.

الزرقاني،1995،مناهل العرفان في علوم القرآن،بيروت،دار الكتاب العربي.

-الزركشي،2006،البرهان في علوم القرآن،القاهرة،دار الحديث.

-عبد الحميد،خطاب،د(س)،الغزالي بين الدين والفلسفة،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب.

-عبد الجليل بن عبد الكريم سالم،2004،التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيق،القاهرة،مكتبة الثقافة الدينية.

-عبد الرزاق،مصطفى،1944،تمهيد لتاريخ الفلسفة،القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

-علي سامي،النشار،1119،نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،القاهرة، دار المعارف.

-فتحي، الدريني،2013،المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي،بيروت،مؤسسة الرسالة.

-محمد حسين، الذهبي،1986،الوحي والقرآن الكريم،عابدين،مكتبة وهبة.